الفصل الأول

فضل صيام شهر رمضان

رمضان سيد شهور السنة على الإطلاق، لأنه شهر ابتداء نزول القرآن الكريم، النعمة العظمى على المؤمنين، حيث أنزل الله عزَّ وجلَّ فيه، خاتمة كتبه السماوية، فكان ختام مسك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[1] فهو سيد الشهور، كما أن يوم الجمعة سيِّد الأيام، كما قال المصطفى ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة عليَّ فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا يا رسول الله: كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ - أي بَلِيتَ - قال: إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[2].

ويكفي رمضان شرفاً، أن الله تعالى أنزل فيه كتابه المبين، فتشَّرف هذا الشهرُ بشرف كلام الله المنزل فيه:

---

(١) سورة النساء: آية ١٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ١٠٤٧ بسند صحيح.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ومن أجل ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لو يعلم العبادُ ما في رمضان من الخير، لتمنت أمتي أن يكون رمضانُ السنة كلَّها»[1].

وقد وردت أحاديث عديدة، في فضل الصيام عامة، وفي فضل رمضان خاصة، نذكر طائفة منها، لتعريف المؤمنين بنعمة الصيام، وشرف هذا الشهر العظيم شهر رمضان، الذي هو تاجٌ بين شهور العام، وبيان فضل العمل فيه.

أولاً: روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ في الحديث القدسي: يقول الله عزَّ وجل: «كلُّ عمل ابن آدم له إلاَّ الصيامُ، فإنه لي وأنا أجزي به، والصِّيامُ جُنَّة ـ أي وقايةٌ وسترٌ من نار الجحيم ـ فإذا كان يومُ صوم أحدكم، فلا يَرْفُثْ ـ أي لا يتكلم بالبذيء من الكلامَ ـ ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ، أو قاتله، فليقل: إني صائمٌ، إني صائم، والذي نفسُ محمد بيده، لَخُلُوفُ ـ أي تغيُّرُ رائحة الفم ـ فم الصائم، أطيبُ عند الله من ريح المسك، للصائم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وابن خزيمة في صحيحه، وانظر الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ١٠٢.

فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه»[1].

وإنما كان الصوم خاصًّاً بالله عزَّ وجل، لأنه لا يطَّلع عليه إلاَّ ربُّ العزة والجلال، بخلاف سائر العبادات، ثم هو انقطاع عن الشهوات من أجل الرب تبارك وتعالى، كما جاء في بعض روايات البخاري:

«يترك طعامه، وشرابه، وشهوته من أجلي، الصيامُ لي وأنا أجزي به، والحسنةُ بعشر أمثالها»[2]. فلذلك اختص بنسبته إلى الله تعالى، والمراد بالشهوة هنا: شهوة الجنس، أي يترك شهوة النساء من أجلي، فجزاؤه عليَّ لا على غيري.

ثانياً: وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ، الحسنةُ بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلاَّ الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يَدَع - أي يترك - طعامه، وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٩٤ ومسلم رقم ١١٥١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٢٤ بحاشية السندي.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١١٥١ في كتاب الصوم.

أقول: الفرحة الأولى: هي عند انتهائه من صيام شهر رمضان، حيث يقدم عليه عيد الفطر السعيد، وهو الفرحة الصغرى بتوفيق الله عزَّ وجل له، لإكمال صيام شهر رمضان المبارك، فيوم الفطر هو الفرحة العاجلة؛ لأن جميع المؤمنين الصائمين، يكونون في ضيافة رب العالمين.

أما الفرحة الكبرى: فهي يوم يلقى الصائم ربَّه، وينال أجره على الصيام كاملاً وافياً، ويأتي الخطاب من ربِّ الأرباب، لعباده الصائمين، بقوله تقدست أسماؤه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1]. وهذه هي الفرحة الحقيقية، التي لا يعرف مقدارها إلاَّ من أكرمه الله بدخول جنات النعيم.

ثالثاً: وأخرج الشيخان عن طَلْحةَ بنِ عُبَيْد الله رضي الله عنه أنه قال: «جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الزخرف: الآيات من ٦٨ إلى ٧٣.

من أهل نجد، ثائر الرأس ـ أي مبعثر الشعر ـ نسمع دويَّ صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة، قال: هل عليَّ غيرهُنَّ؟ قال: لا، إلاَّ أن تَطوَّع ـ أي تصلِّي نوافل ـ ثم قال رسول الله ﷺ: وصيامُ شهر رمضان، قال: هل عليَّ غيرُه؟ قال: لا، إلاَّ أن تَطَّوع!! قال: وذكر له رسولُ الله ﷺ الزكاة ـ يعني أن الله عزَّ وجل فرض عليه زكاة أمواله ـ فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: لا، إلاَّ أن تَطَّوع!! فأدبر الرجل ـ أي انصرف الأعرابي ـ وهو يقول: واللهِ لا أزيد على هذا، ولا أَنْقُصُ منه!! ـ أي لا أزيد على ما افترض الله عليَّ، ولا أنقص شيئاً منها ـ فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرجلُ إن صَدَق، أو قال: دخل الجنة إن صَدقَ»[1].

رابعاً: وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[2]. ومعنى قوله ﷺ «إيماناً واحتساباً» أي تصديقاً بوعد الله الذي وعد به عباده

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٦ ومسلم رقم ١١.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٩٠١ ومسلم رقم ٧٦٠.

الصائمين، بالأجر الجزيل، وطلباً لرضاه جلَّ وعلا وحده، لا من أجل ثناء الناس عليه، أو رغبةً في صحة بدنه، فإن الصوم صحة للجسد «صوموا تصحُّوا» ولكنْ يصوم لوجه الله تعالى.

خامساً: وروى أحمد، والنسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بشَّر أصحابه بقدوم رمضان فقال: «أتاكم رمضانُ شهر بركة، يغشاكم الله فيه ـ أي يحيطكم فيه بالرحمة والرضوان ـ فيحطُّ فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ـ أي تسابقكم لفعل الخيرات ـ ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، وإن الشقيَّ من حُرم فيه رحمة الله عزَّ وجل»[1].

إي وربي!! هذا هو الشقاء والخسران!! الشقي الخاسر، هو الذي يدركه رمضان، ثم ينسلخ عنه ولم تُغفر ذنوبه!! فرمضان شهر المغفرة والرضوان، وهو شهر التطهر من الخطايا وغسل الأدران، فإذا لم يتطهر الإنسان في رمضان، ففي أيِّ شهرٍ يتقرب من ربه ويتطهَّر؟!

سادساً: وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله، إلاَّ باعَدَ اللَّهُ بذلك اليوم وجهه عن النار

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والنسائي رقم ٢١٠٦.

سبعين خريفاً»[1] أي يبعد الله وجهه عن نار جهنم، مدة مسيرة سبعين سنة، تحقيقاً لوعده تعالى حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2] وهذا ليس خاصاً برمضان، وإنما هو عام لكل من صام يوماً ابتغاء رضوان الله، فهو يشمل الفرض، والتطوع، وكلّ صيام يصومه المؤمن في سبيل الله.

سابعاً: وروى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يُقال له الريَّانُ ـ أي الذي لا يكون فيه عطشٌ ـ يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون ـ أي ينهضون مجتمعين ليُعرفوا ـ لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد»[3].

أقول: هذا تفضُّل من الله على الصائمين، فإنهم لمَّا عطشوا في الدنيا، أكرمهم الله بإدخالهم من باب الريَّان، الذي من دخل منه لم يشعر بظمأ ولا عطش، اللهم لا تحرمنا منه.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٩٦ ومسلم رقم ١١٥٢.

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٢٨٤٠ ورواه مسلم رقم ١١٥٣.

ثامناً: وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل شهرُ رمضان، فُتِّحتْ أبوابُ الجنةِ، وغُلِّقتْ أبوابُ النار، وصُفِّدت الشياطين»[1] أي قيِّدت بالأغلال والقيود، حتى لا تفتن الناس، وتُغريهم بالمعاصي في شهر رمضان المبارك الذي هو شهر العبادة والتقوى. وفي هذا عونٌ من الله للصائمين، ولهذا نجد الإقبال على العبادة والطاعة، والمحافظة على الصلاة مع الجماعة، بشكل ملحوظ في شهر رمضان، من الكثير من المسلمين، **وقد جاء في بعض الروايات** «وصُفِّدت مَرَدةُ الشياطين» أي الكبار الممعنون في الضلال والإضلال، من قادة وطغاة الشياطين، ولو أن جميع الشياطين قُيِّدت بالسلاسل والأغلال، لما وقع من مسلم صائم، معصيةٌ ولا جريمة في شهر رمضان.!

تاسعاً: وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلواتُ الخمسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعة، ورمضانُ إلى رمضان، مكفِّراتٌ ما بينهنَّ، إذا اجْتنبتِ الكبائرُ»[2].

يعني بذلك رسولُ الله ﷺ أن المحافظة على

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٩٨ ورواه مسلم رقم ١٠٧٩.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٣٣.

الصلوات الخمس، والمحافظة على صلاة الجمعة، وصيام شهر رمضان، يكفِّر الله بهنَّ الذنوبَ والخطايا، إذا اجتنب المؤمن الذنوبَ الكبائر، وذلك من باب قول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (١) وقول الله عزَّ وجل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (٢).

عاشراً: وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ - أي هذا عملٌ صالح تقدِّمه لآخرتك -

- فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة.
- ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد.
- ومن كان من أهل الصيام، دُعي من باب الريَّان.

---

(١) سورة النساء: آية ٣١.

(٢) سورة هود: آية ١١٤.

● ومن كان من أهل الصَّدَقة، دُعي من باب الصَّدَقة.

● **فقال أبو بكر رضي الله عنه**: بأبي أنتَ وأمّي يا رسول الله!! ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ - أي يكفي أن يُدعى الإنسان لدخول الجنة من باب واحدٍ، ولا حاجة له أن يُدعى من جميع الأبواب - فهل يُدعى أحد من تلك الأبوابِ كلِّها؟ قال ﷺ: نعم، وأرجو أن تكون منهم»[1].

«الترهيب من الفطر في رمضان»

حذَّر الرسول ﷺمن الإفطار في رمضان، من غير عذرٍ شرعي، وبيَّن أن عقوبة المفطر في رمضان، كبيرة وخطيرة، بحيث أنه لو صام الدهر كلَّه، لم يجزئ عن يوم واحدٍ، أفطره في رمضان، فما أعظم جريمة المفطر في رمضان؟!

أ - روى البخاري عن أبي هريرة - قال: ويذكر عنه رفعُه - أي إلى النبي ﷺ - «من أفطر يوماً من رمضان، من غير عذرٍ ولا مرض، لم يقضه صيامُ الدهر، وإن صامه»[2].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٩٧ ورواه مسلم رقم ١٠٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ١/ ٣٣١.

ب ـ **وفي رواية أبي داود والترمذي**: «من أفطر يوماً من رمضان، في غير رُخْصةٍ رخَّصها الله له، لم يقض عنه ـ أي لم يجزئ عنه ـ صيام الدهر كلِّه، وإن صامه»[1].

جـ ـ ورُوي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «عُرى الإسلام، وقواعدُ الدين، ثلاثةٌ، عليهنَّ أُسِّسَ الإسلام، من ترك واحدةً منهنَّ، فهو بها كافر حلالُ الدم:

١ ـ شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

٢ ـ والصلاةُ المكتوبة ـ أي الصلوات الخمس المفروضة على المسلم ـ.

٣ ـ وصوم رمضان»[2].

فلْيحذر المسلمُ من التفريط، في صيام شهر رمضان، أو انتهاك حرمة يوم من أيامه الجليلة، فإن الأمر جدُّ خطير، ولن يستطيع المسلم أن يعوِّض إفطار يوم واحدٍ، بصيام الدهر كلِّه، حتى ولو صامه، وإذا حدث

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٢٣٩٦ والترمذي رقم ٧٢٣ وابن ماجه رقم ١٦٧٢.

(٢) رواه أبو يعلى، والدَّيلمي، وصحَّحه الإمام الذهبي.

شيء منه من أيام جاهليته، فلْيتب إلى الله توبةً نصوحاً، وليقض ذلك مع كفارته، وهو صيام شهرين متتابعين، لعلَّ الله يتوب عليه، أمَّا الأجر الذي فاته، فلن يتعوَّض بصيام العمر كله، والله المستعان.

قال الذهبي: قد تقرَّر عند المؤمنين، أن من ترك صوم رمضان بلا مرضٍ، أنه شرٌّ من الزاني، ومدمن الخمرِ، بل يشكُّون في إسلامه، ويظنون به الزندقة والانحلال.

* * *